

قراءة متأنية في مشروع الدستور التونسي الذي أنجزته الهيئة التأسيسية مطلع هذا الشهر، والذي يقترح «برلمانية معقّلة». وفي الغرب، التعامل مع الخمر يبرز الفصام القائم.

«التأخونون، أو ظاهرة التحولين إلى السلطة في مصر»، المختقلين من الدفاع بشراسة عن النظام السابق إلى الدفاع بشراسة مشابهة عن الحالي، وهي ظاهرة النفاق والتسلق المرافقة لكل التلاوين.

يخدم الصهيونية في فلسطين مسلمون ومسيحيون، اشتهر منهم جبرائيل ندياف، قس الناصرة الذي أقبل من منصبه، ولكنه ليس استثناء. وفي «بالف كلسم»، السوجه المشرق للفلسطينية جميلة ابو عشيبة.

4

3

2

## ملاحم انهيار التحديثية العراقية المعاصرة



سندس عبد الهادي - العراق - sundusah.tumblr.com

انهارت تجربة الحداثة العراقية على مرحلتين: الأولى مع اتجاه جهاز الحكم أو «الدولة الحديثة» إلى الدكتاتورية القسوى (العائلي. الريعية) خلال فترة 1968. والثانية هي المعاشة الآن، والمستمرة منذ 2003. هذا لا يعفي بقية الفترات أو الحقب، وبالأخص حقبة 1921 - 1958، من العلل الأصلية، والاسباب المؤسسة للمآلت الانهيار الحالي.

### توطئة

تبدأ مظاهر التحديث الأول في العراق مع الوالي مدحت باشا (1869. 1872)، وعلى الرغم من قصر مدة حكمه، إلا أن ما حققه من منجزات في المادين الإدارية والعمرانية والاقتصادية لا يضاويه إنجاز قبله، بل وحتى بعده. أرسى مدحت باشا أسس التحديث إذ بدأ بسن قوانين مملكة الأرض التي تعد أهم عنصر في حياة العراق في حينه، قبل أن يطلق «قانون التسوية» الذي غير العلاقات الزراعية من مشاعية إلى شبه اقطاعية عام 1932. كما وفر بالحدود الممكنة في حينه، العلاقة التبادلية التجارية مع الرساملية العالمية، باستغلال دجلة والفرات للملاحة عبر شط العرب، فوصلت السفن العراقية في عهده إلى بريطانيا وتركيا. وأسس أول صحيفة، وشق الطرق الخارجية والشوارع ي المدن، وأحى الأنهار، ووضع التقسيمات الإدارية والبلدية المعمول بها إلى الآن مع تحويرات غير جوهرية. وأسس التلفزيون، وأقام المستشفيات والمدارس والمعاهد، وبني المدن (مدينة الناصرية في الجنوب على سبيل المثال).

يذهب بعض أصحاب الرأي للقول بان الحداثة العراقية تعود إلى ما قبل مدحت باشا، فيركزون على الوالي «داود باشا»، الملوك الأخير (1817 - 1831)، مضاهين إياه بمحمد علي، حاكم مصر الذي تؤرخ معه نهضتها الحديثة. ففي عهد داود باشا، اتخذت الكثير من المواقف وطبقت الإجراءات جرت العادة على اعتبارها من معالم بدايات النهضة الحديثة، مثل تصنيع السلاح، وإقامة المعاهد العسكرية، ورعاية الأدب، واعتماد المحاماة الجمركية بمواجهة البضاعة والململين الإنكليز في بغداد، وأخذ ثورات العشائر، وإقامة الجيش الضخم (قبل أن تعداد جيشه فاق 100 ألف جندي)، حتى أنه أطلقت عليه تسميات من قبيل «الوالي الجبار»، والمثير هو أنه كان عازماً على الاستقلال عن العثمانيين. إلا أن مجاعة الطبيعة والحط أكلت منجزاته، فانتهى عهده بكارثة الطامعون، التي تزامنت مع فيضان أفنى سكان بغداد تقريباً، إلى أن أكمل عليه الاحتلال التركي، المسمى «الثالث»، بقيادة علي رضا الذي خلغ داود باشا ليجلس محله في الوالية، في واحدة من أطول الفترات التي عرفها تاريخ الحكم في العراق في تلك الفترة، (استمرت 11 عاماً)، خلّت من أي منجز يُذكر. لم تعرف أية جهود لبثته في هذا المجال بعد استقلاله مدحت باشا عام 1872. ولم يعد مثل هذا المسار مطروحاً إلا بعد الاحتلال الإنكليزي، وما نجم أو تخضع عنه من ردود أفعال، كالثورة العشرين من أبرزها، وتوحيد البلاد تحت حكومة مركزية واحدة عام 1921، حيث بدأت العوام والخصائص الطائفية الذاتية تحضّر، مثل انتاج مدينة الناصرية الجنوبية لقوتي الحداثة السياسية الأساسية، الحزب الشيوعي وحزب البعث، ليس على أسس طبقية في مدينة في الأثر بؤسا وتحلفاً، بل على أساس التراث الشعاعي الزراعي المنقلب

يفعل تحولات الدولة الحديثة إلى سرقة الأرض وظهور الأقطاع. وهو ما منح الشيوعية العراقية زخماً وتصارعا غير عاديين...

### إشكالية الحداثة: المنجز والبنية

المسألة الجوهرية هنا هي انعدام التفريق بين المنجز الحداثي المنقول والبنية. فإذ كان بالإمكان نقل المنجزات الحديثة والعصرية، فإنه يستحيل استعارة البني التي أنتجتها. فلا نتوقع تحقيق منجزات من دون أن نتعامل معها كنتاج بني أخرى، وسيرورات تاريخية مختلفة، هذا عدا عن أنه مع نقلنا لها، سوف تكون عرضة للتخوّر، أو الانهيار، بفعل الأثر الذي يلقفه عليها واقع بنوي مختلف عنها كلياً.

فالذولة الحديثة المؤسسة في العراق عام 1921 قامت على قاعدة جزئية، إذ اننا استندت إلى نخبة تنتمي إلى إحدى المكونات (النخبة المدنية السننية العثمانية)، بينما استبعدت مكونات هامة أخرى. وأعقب قيام «الدولة الحديثة» محاولة تشكيل مفهوم للوطنية العراقية، تمثل في نشوء «الحزب الوطني العراقي» بقيادة جعفر أبو التمن (1922 - 1932). ولكن هذه المحاولة انتهت إلى الفشل، بينما استمرت خاصة الجزئية، التي طبعت البداية طيلة تاريخ الدولة الحديثة خلال 82 عاماً، بحيث دخل هذا العامل في صلب وجوهر أليات تطورها، ومنعها من أن تتنقل في أي من فتراتها، إلا ما ندر (فترة حكم عبد الكريم قاسم 1958 - 1963) إلى عامل مسهر وتوحيد مجتمعيين. على العكس من ذلك، ورغم التبديل الذي طرأ

على ملاحم وتعريف ذلك المكوّن، أصبح الحفاظ على الموقع المتميز ذلك هدفاً بحد ذاته، أدى إلى تحوير الأحزاب الحديثة، وحرّفها غالباً عن مضمونها المفترض، بحيث حوّل أحدها (البعث) إلى قوة عصرية تخدم أغراضاً ما دون عصرية ولا حديثة، وتؤدي دور التنظيمية على الطابع الجزئي لدولة يقودها في الظاهر حزب قومي، بينما نواته هي وحدة قرايبية عشيرية ريعية، إسمت ديمومتها في الحكم موارد النفط.

### بؤس المشهد اليوم، بل ربعه

من يقصد اليوم شارع الرشيد، ويطلع الخراب الذي حل به، والوظائف التي صار يؤديها، بعد أن كان درة التحديث العمراني العراقي منذ نهاية القرن التاسع عشر، وقد تحول إلى سوق شعبي تعمه الفوضى وتخيم عليه الكتابة والخراب، وكنتل الإنترنت، والبنائات التهلكة... لا يشك لحظة بان الحداثة العراقية قد شلها مجدداً قانون النهوض والانهيار. إلا اننا اليوم لسنا أمام خرابنا بابل الدفونة تحت التراب، ولا خرابنا بغداد درة الدنيا بعد مجيء هولاءكو، أو كما كانت تبدو في القرن التاسع عشر، بعد أن لم يبق منها سوى بقايا مدينة هرمه... فما يحدث الآن هو دورة مختلفة، لا يمكن أن تقارن بالدورة الحضارية الكبيرة الأولى ونهائها في بابل، ولا الثانية ونهايتها على يد هولاءكو 1258. ذلك أن محاولة النهوض الحالية لم تكن من فعل العناصر والآليات الذاتية، بقدر ما كانت مستعارة، واحتوت على قوة فرض أنت من خارجها، ولم توطن.

على الجبال، حديد وتلك وحصى وأصداف... هنا كانت بغداد الليل والسهر في الثلاثينات، الماي الأولى افتتحت هنا، والمطربات الكبيرات، والعربات الفارسة التي تجرها الخيول... وهنا كذلك ربما، تجد ضالتك إذا قصدت أن تسمع مطرباً قديماً، مثل الكبير القبانجي، من هنا اشترت أقراص أغانيه كلها.

### الاحتلال وما بعده

منذ قام الاحتلال في 2003 بسحق الدولة الحديثة، بصيغتها الدكتاتورية الفتوية القسوى، والعراق تسوده قوى ما قبل الدولة، تعائش انتخابياً على الطوائف، والبلاد يعيها تقليد المشي إلى المزارات والمراقد باللايين. وفي الأونة الأخيرة، انتقلت «عمليتها السياسية الطائفية»، من الدكتاتورية الانتخابية السلطانية، إلى نوع من إرهاب الدولة، باستخدام الميليشيات من قبل الأجهزة الحاكمة... أما الأحزاب العلمانية فخرجت من التاريخ والواقع، وارتضت الالتحاق بحكومات الطوائف.

بغداد التي عرفها اندثرت، بانتظار نهوض بغداد أخرى، ودورة أخرى...

### عبد الأمير الركابي

كاتب من العراق

## حذارِ التدخين يؤدي صدرك

نستعين على الواقعة يبطل أفلام رعاة البقر «جوليانو جيبا»، حين كان يطرأ أعداءه، وهم في حينها أعداؤنا. نحن الرابضين فوق كراس مرقّة، خارجة نوابضا ككباش حيوان ذبيح، في الصالة المعتمّة. يربشقات رصاص غير منتهمية ذخيرتها. نضيق براحتنا كدمي القردود المعدنية، قبلما ويبدا نراه يرفّز بصفرة ممتهمجة فوق فوهة السدس المرفوعة نحو الأعلى لبيد دخانها، مدوراً المسدس بأبماهم المستقيم قبل أن يزدريه في حفاظة الجلد المتدلية على ساهه اليمنى، بعدها يعتلي حصانه متوثباً نحو مجد مخيوم - في حجرات الخمارات البرية، مفصحا من تحت قيمته الدائرية إبتسامه عليها شبيهات البراءة واليقين. ونحن نستعمل بعد حين بعض فقله، باققتنا بسدسات بلاستيكية، نملأها بالاء، ونرش بقضاً لا لثمت، بل لنخرج الضحك من أبارنا الأرتوازية، وننقد في بذوية ترجيقات الناي الحزين، مطلقين من تقويه صفترا لأحدثائنا، نقلد بها القطارات، وعصافير الدوري المختبلة بحبيبات قسيها، ونخيار لراعي البقر اللوسيم إلى ما بعد مراهقتنا أسئلة في دفاترنا: عن أولوية القتل الأنهل في الغلاء العدم الافتراضي؟ والدور الرمزي للسياجارة الموضوعة على طرف الشفة كطريقة في احتفارك الخيوم؟ وما يجوز لرعاة البقر وما لا يجوز لغيرهم؟ وعن أهمية وضروقات القبلة العاطفية الماتجة في الحروب الأهلية وفوانيسها؟ وجوازيتها أثناءها أم ضرورة إيقانها إلى ما بعدها!!

وما من وقت في غمرة هذا المهلكة لنسأل أبا نا الغائب: ماذا تركتنا وحيدين، ربما، لأن أمنا فعلت منهل، واخوتنا كذلك!!

\*\*\*

يعبر فوق الرصيف الطويل المهادي لثاوية «جورج سالم» الصناعية في منتصف شارع الملك فيصل الأول، من شوارع مدينة حلب، أمام الحفلات المصطفة، التي تتنازع الانطلاق إلى الريف الشمالي، يتنحى جانباً ليري يوضوح ما كتب على زجاجها، نعم، حقيقية أسماء القرى، لا منام يأخذ من غفوة إلى أختها: حريتان - معارة الأرتيق - تل رفقت - عدنان - بمانون - حيان.... والناس مشغولون بترتيب أكياسهم وحوانجهم وزفراتهم، والقادمون من آخر الرصيف منحنية ظهورهم تحت ثقل الأكياس الكبيرة لأحلامهم. قبلها عبر على الحاجز العسكري الذي يتشارك فيه شبان موثومة أزرعهم وشابات محجبات، واستدار من خلف أكياس الرمل، الموزعة



همام السيد - سوريا

بطريقة أحجية لدود السيارات المسرعة عن أي مفاجأة عسكرية معادية، ولم يطالبوه بإبراز بطاقته الشخصية أو فتح حقيبته المتدلية على كتفه.

يتساءل بصوت عال، الشباب القاض على راحة إبنه: كيف نستدل على السيارة المفخخة؟ ويجيب نفسه بعد أن يتيقن أنه لا أحد من المتهكمين يترتيب أكياسهم والنظر التواصل إلى ساعاتهم سيرد عليه، كنا نستدل على المرأة الحامل من التكور في بطنها، كما على الرجل الإذلف بخنائق الأوردة الضيقة من جحوظ عينيه، وأنيته اللاهث تحت أنفاله أكياس الخضار والبرغل... ترى كيف يكون بطن

السيارة المفخخة يا خير؟ ويسأل العابر بلباسه الرياضي الأبيض الملقم الكلبي: إلى أين يذهبون في هذا الطريق؟ وهل سيمعّدون في اليوم التالي، ليذهبا مرة أخرى؟ نعم يمعّدون، أو يعود من يستطيع منهم، هؤلاء موظفون حكوميين ومعلمون يعطيهم سيف الفصل التعسفي

حين ينقطعون عن دوام دوايرهم ومؤسستهم لأسبوع، ومرض يمحون عن أدويتهم في صديلات المدينة، وجرحي يعرضون جراحهم في المشافي وعيادات الأطباء، وشغيلة مياومون، وأجرء في وريشات صغيرة ومتوسطة، ما تزال تتحايل على ظروفها الكارثية لتستمر، وباعة متجولين يؤمنون بضائعهم في مستودع أو دكان فارغ، ليستردوها في الصباح ويتابعوا عملهم....

يجلس الرجل الآخر الجالس على كرسيه الواطن، ويمسح دموعه بمنديل ورقي نمتكس بمائه الملح، يتفتن حوله ولا يروا ما يدل على جنازة ولا عن رتل من المعزين يأتي من آخر الرصيف ليسوره بحنان، ويمسح دموعه بالبناسة البليلة، لئخّن إذا: بيكي جالسا على رسم درس، وعلى أهل يتهدوا قبل العرس!! كم تطول الرحلة، وكان يعني الريف الشمالي الغربي لحلب؟ يرد المااون: بداية يجب الانكامل على الله، اما بعد، فقد تستغرق الرحلة بين أربع وست ساعات، كانت فيما مضى نصف ساعة أو أكثر قليلاً. ويتابع: لا يزيد «كثر حكي»، لن نتطلق الحافلة قبل اكتمال ركابها وامتلاء مقاعدها، المازوت ولا يتوفر بسهولة، والمصاريف العالية تتضاعف، والطريق طالت مسافته وتشتعت في البرية الموحشة، ودروبنا اختبارات دائمة، وتيقن مؤكّد لحدود الإنتشار العسكري الرسمي، والتجديلات في مواقع الكتائب المقاتلة.

تغيب الصور عن زجاج الحافلة والعبارة الشعرية والتعديلات، وتغيب الأغاني عن مسجلها، وحشد العنائم المنسدل فوق زجاجها الأمامي ومرآتها، فكل رسم أو كتابة ينبغي أن يحسب لها حساب واحترام، ومن مصيدة قد تبطل العمل يرمته وتصادر الحفم، ويغيب الكلام المرسل بين السائقين ومعاونيهم، حيث يتوجب الرحلة، ولا يسمع صوت أو إشارة تطلب إيقاف أو تبديل الطريق.

عبروا أمام عمارات تشييدها الجمعيات السكنية، ويسمع من يقول: «بيقت على العظم» في إشارة إلى تأخر إكس انها... أيها، البلاد كلوا صار على العظم، يأتي صوت من مكان آخر من داخل الحافلة أو من خارجها....

يستنشق دخان سيجارته وتزاجيل الجالس على زاوية الرصيف، وتوخّن، وتتبع السيارات المسرعة ورائحة الشواء وحراق المزابيل... يقول العابر، بعبارة حملت إشارة تحذيرية عمومية من الموت بالاختناق: حذارِ دخان سيكتم صدرك!!

### عزيز تبسي

كاتب من سوريا

### الطائفية «البعيضة»

... فإن كانت بإجماع الإدانات لها بعيضة، ولا تذكر من دون صفتها، فمن ذا ترى يرتكبا قولا وفعلا؟ بل كيف تجاوزت حاضنتها اللبنانية التقليدية، والتي كانت أشبه بمزحة - رغم «الأحداث» الدموية المتكررة، وما سر انتشارها الحالي والغبف من المحيط إلى الخليج، وبيفض. نعلم أن الطائفية المستعرة حالياً في لبنان، واللدهشة في فصاحتها، هي نتاج انكشاف النظام الطائفي اللبناني، تعرّبه إلا من هيكله الحديدي، وهذا غير كاف في أي نظام، فقد اختلف بعق، أو تعطلت، وظافت ذلك البناء الناظم لمعمليتي توزيع الثروة والسلطة، وصار اشتغاله وفق ما جرى المتوافق عليه ذات 1943، غير ممكن: تغيرت النطقة المحيطة، وتغير العالم، وفاتت موضة التوسط المالي والتجاري وما صاحبها من خدمات أخرى كانت متوافرة بحكم التوازن والحرية للطوائف كملحقات، وكترات كذلك: التعليم والطبابة والنشر والسياحة، وغيره مما يجدر ستره.

وتعلم أن الاحتلال الأميركي، وفيما هو يمهّد للعردان على العراق، لم يخترع وإنما اختار التركيز على ارتباط نظام الاستبداد الذي كان قائماً في بلاد الرافدين لعقود، بصيغة طائفية، واستخدم أعداءه الطائفيين لتسهيل قلبه، ثم لتسهيل إدارته لإحتلاله، وندم، لأن كل الأمور أفلتت من يديه، بعكس ما ظن، ولكن ذلك لا يهم، وأمر سوريا معلوم ومشابه، وإن كان أعقد لألف سبب، يخص بنية البلد نفسها والظرف المحيط. ولكن ما بال مصر وبلدان الإقليم؟ وما دخل الرئيس المصري يسمي الشبقة «وافض» في مهرجان شعبي قبل أسبوع من تجر عنتا (ا) من أبناء قرية بالجيزة بالهجوم على شيخ شعبي وقتله وسحله ورافقه بالمشورين في تاطقها الرئاسة، كما الأزهر والمفتي والأحزاب السلفية «الحادثة» لا يمكن أن يُشكّر، ولا يخفف من مسؤولية هذه الجهات عنها. ثم، وبالناطق نفسه، فما دخل وزير خارجية إيران في مقتل مواطنين مصريين، ودين ويتصل بالمسؤولين في تاطقها هذه كلها دلائل على إفلاس تام لتلك الأطراف، وعلى افتقادها للأفق اللازم (الفكر والبرنامج والإرادة والمصلحة) للنهضة والتحرر. المهتين اللتين ما زالتا للانجاز. عوض ذلك يجري توسل أدوات مفلسة بغاية السطوة.

### نهلة الشھال

# ملف

## عندما تصنع تونس بالكلمات: هل أن مشروع الدستور ثوري؟

تشرّع مسودة الدستور النهائي المقدّم في الأول من حزيران / يونيو 2013، الخطوط العريضة للنظام السياسي المستقبلي لتونس. بل وأبعد من ذلك، فهي تحدّد عناقيد عقد اجتماعي جديد، بعد 16 شهراً من العمل عليه. ليست المسألة هي في استعراض مغامرات المجلس الوطني التأسيسي والمجموعات السياسية غير المؤهلة لتحلّل مسؤولياتها التاريخية، بل هي محاولة لتقديم تحليل نقدي لمشروع الدستور. هل هو ثوري؟ ما هو وزن كلٍّ من المؤسسات، والمرجعيات، والممارسات السابقة في نصه النهائي؟ أيّ خطاب تمّ الاعتماد به؟ الدستور هو بالطبع صورة عن توازنات القوى كما هي قائمة في لحظة صياغته، أكثر مما هو نصّ من شأنه تنظيم تفصل السلطات بشكل مثالي. لكننا نلاحظ أنّ مشروع الدستور، سواء كان على صعيد النظام السياسي المقترح، أو لناعية مقدار الحقوق والحريات التي سنتقنص من الّآن وصاعداً في الحجر، أو في ما يتعلق بعلاقات القوة بين السلطات نفسها، يستقي مراجعه من ماضي تونس، مع إرسانه، بطريقة جديدة كلياً، سيادة تشريعية معقّلة في خدمة دولة مدنية، لكن أيضاً في خدمة نواة دولة رفاة.

**نظام جديد: البرلمانية العقّلة**

النظام السياسي المقترح في مشروع الدستور الجديد برمّلتى بامتياز، وهذه قطعة مع ما سبقه، يفض على ذلك الفصل 94 بقوله أنّ «الحكومة مسؤولة أمام مجلس نواب الشعب»، وعلى الرغم من أنّ توطئة مشروع الدستور تتحدّث بطريقة عرضية عن «نظام جمهوري ديموقراطي تشاركي»، فإنّ النظام السياسي ينتمي إلى الديموقراطية التمثيلية بوضوح.

وتُدخل ثلاثة ابتكارات إضافية ثورة في توازنات السلطات ضمن النصّ الجديد: نلاحظ من جهة اختفاء المجلس الشّرعي الأعلى، أو بتعبير آخر مجلس الشيوخ، هكذا نعود إلى حالة ما قبل العام 2002، بهدف هذا الإجراء إلى تعزيز سلطة مجلس نواب الشعب التي لا تحفظها رقابة مجلس تشريعي آخر، ومن جهة ثانية، يخفي مجلس الشيوخ لصالح جماعات محلية منتخبة في إطار اللامركّزية (الفصل 13)، التي يفترض بها ألاّ تتحدّد «وحدة الدولة»، غير أنّ حدودها وصلاباتها لا تزال غامضة، كما يمكن الابتكار الأخير في ظهور، «هيئات دستورية مستقلة»، من شأنها الحدّ من اتساع نفوذ السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية. هذه الهيئات الخمس معنية بالانتخابات، والإعلام، وحقوق الإنسان، والتنمية المستدامة، وحقوق الأجيال المقبلة، وأخيراً الحوكمة الرشيدة ومكافحة الفساد.

وعلى الرغم من أنّ إضافة هذه الهيئات، التي من المفترض أنّ تكون مستقلة، يؤدي إلى تقليص مساحة عمل السلطات التشريعية التنفيذية، والتفّيدية، إلاّ أنّ مكنائتها، فضلاً عن مدى سلطاتها وأهدافها، تبقى أموراً غير محدّدة بشكل كاف.

إنّ الفصل بين السلطات مذکور رسمياً في توطئة مشروع الدستور. أما السلطة القضائية، «الستقلة»، بحسب الفصل 100، فقد خصّص لها المشرّع قسمًا خاصًا، وهو ما لم يكن عليه الحال في الدستور القديم، وإلى جانب الحاكم القضائيّة، والإدارية والمالية، تمّت استحداث محكمة دستورية (الفصل 115)، دورها مراقبة دستورية مشاريع ومقرحات القوانين. أما السلطة التنفيذية، فهي ذات «عقلين» (أو رأسين)، فهناك رئيس الحكومة، ويكون مسؤولًا بالافتراء العام المباشر لخمس سنوات (الولايتين متتاليتين بالحدّ الأقصى)، وهو رئيس أراد المشرع التأسيسية منح شريعة توازي قوة شرعية النواب، وتفقو شرعية رئيس الحكومة، في الوقت نفسه، فإنّ هذا «الناقص» لشرعية لا شك فيها، كميجح يفعل ضيق صلاحياته، فياستناد السياسة الخارجية والدفاع والأمن الوطنيّين، (فضلاً عن صلاحياته البروتوكولية والرمزية)، فربّيس الجمهورية ليس مندوب السياسة العامة للدولة. وهو يمتلك حق حلّ المجلس الوطني، إضافة إلى أنّه غير مسؤول سياسيا، وهو لذلك «يسمو فوق الأحزاب السياسية»، ولكنه يمكن أن يتعرّض في الوقت نفسه لعملية إعطاء من قبل المجلس فيما لو قرر هذا الأخير أنّه لا يحترم الدستور. من جهة ثانية، ينصّ مشروع الدستور على منصب رئيس حكومته يعينه رئيس الجمهورية، ويكون مسؤولاً أمامه وأمام مجلس نواب الشعب، ما يعني، وبشكل صريح، أنّ رئيس الحكومة يقف بتصرف هاتين المؤسّستين. لكنه في الوقت نفسه يمثل «العقل» الحقيقي للسلطة التنفيذية، ورئيس الحكومة الذي يختاره رئيس الجمهورية من الحزب أو الائتلاف الانتخابي ذو الأغلبية في المجلس الوطني، لا يحق له، شأنه شأن أعضاء الحكومة، جمع تكليفه ذلك مع تكليفه للثياب، ويمكن طرح النقطة بالحكومة ويريسها وفق شروط يصعبها تطبيقها.

في المحصلة، يبدو أنّ النظام السياسي البراسم بموجب هؤالء المشرعين التأسيسييين، وهو عبارة عن «نظام برلماني معقّلق»، بعيدا عن المفالة البرلمانية أو النظام الرئاسي. هناك بالفعل توفّق للسلطة التشريعية، لكن هذا التوفّق مخفف بفعل ادوار كل من رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة، علاوة على السلطات المنوطة للهيئات المحلية، وهي هيئات منتخبة. لكن هذه العقّلتة تصطدم بمسألة جوهرية سنستكفل تحديًا حقيقياً للنظام السياسي المقبل: كيف سيتمكن هذا النظام من العمل في حال وصول غالبية برلمانية ذات لون سياسي مختلف عن اللون السياسي لرئيس الجمهورية؟ يبدو أنّه ينظر المشرّع التأسيسي، «بد العيش»، بين رئيسي جمهورية وحكومة من انتماءين سياسيين متعارضين لا يطرح مشكلة كبيرة، على اعتبار أنّ صلاحيات كل منهما منفصلة بشكل واضح وتكاملية. لكن هل سيكون ذلك كافيا لتأمين وحدة الدولة وفعالية النشاط



من اجتماعات «المجلس الوطني التأسيسي» في تونس

العام، وتجاوزاً للإنقسامات الايديولوجية والسياسية التي تهدّد بتجميد العمل البرلماني؟ الشك في ذلك مشروع، وخصوصاً أنّ النص لا يقترح أي آلية لتنظيم مثل هذه النزاعات.

**ثورة «صامتة»: نحو دولة مدنية ودولة رفاة؟**

تستند الروحية العامة لمشروع الدستور إلى إحالات عديدة ومتنوعة، قد تبدو مرتبكة. فالتوطئة والباب الأول «المبادئ العامة»، يمزجان بين الإحالات إلى الحقوق الكونية وانتماء تونس للعالم العربي الإسلامي، من دون مبالغة ولامحاسة. لكن يُلاحظ غياب أي إشارة إلى «الثورة». حتى أن الصطلح غير وارد إلا مرة واحدة، في صيغة «ثورة الحرية والكرامة» (في التوطئة)، من هذه الزاوية، فمن المؤسّع أن المشرّع التأسيسي لم يتبنّ الشعار الأبرز للثورة، «شغلّ، حرية، كرامة وطنية»، فهو أكثر رمزية من الشعار السطحي: «حرية، كرامة، عدالة، ونظام» (الفصل الرابع)، الذي يخلط بين شعارات «بورقيبة» وأخرى «ثوقيرية» (محمودية على خطاب النظام السابق للرئيس بن علي المعروف بنظام «السابع من نوفمبر، تشرين الثاني») وثالثة ثورية، ويوضح الفصل الأول الذي بات توافقياً، أنّ الدستور التأسيسي متأثر بشكل واضح بالصدور السابق الذي وُضع في العام 1959. وهذا، بعكس التصورات العامة، يسمح بتوضيح كيف أنّ الدستور، ومن ضمنها تلك المسألة ثورية، تُكثب دائما بأشياء مستقاة من الماضي، وهذا ما يفشّر أنّ الاسلا قد بقي دين الدولة الرسمي في مشروع الدستور الجديد، حتى وإن كانت تلك الدولة موصوفة بأنّها دولة «مدنية» (بحسب التوطئة والفصل الثاني). يرى البعض في ذلك تناقضا من شأنه فتح الباب أمام احتمال إرساء فيقواقية إسلامية، ويعتبرون أنّ ذلك يشهد على «ازدواجية خطاب» الإسلاميين وحلفائهم (ما يطلّ على «الترويكاء»). غير أنه يبدو من غير المنطقي أنّ تكون ديكتاتورية دينية ممكنة دستوريا لجزء تضارب الفصيلين 1 و 141، لأنّ من شأن ذلك تحافل جميع الحقوق التي تضمضنها الدستور والتي تكفل حرية المعتقد والرأي والتعبير والإعلام، وعلى أية حال فإنّ المس بما يشكّل وحدة هذه الحقوق وجوهرا، والس بالمصالح المدني للدولة، بمنوع صراحة في المشرّع.

لكن هذه الاستمرارية لا تحول دون تسلّل «ثورتين صامتتين» إلى مشروع الدستور الجديد. نسجل بائذ ذي بدء تضمينه حقوقاً مدنية كانت غائبة حتى الّآن، حتى في الديموقراطيات المسماة «متقدّمة». وليس مفاجئاً أنّ يحفظي بذلك الحقوق - الحريات البشار إليها: حرية الرأي، والتعبير والفكر والمعتقد والإعلام والإبداع والشرق... ويصبح حظر التعذيب، العنوي منه والجسدي، مذكّوا رسمياً (الفصل 22). كما فنشّل مشروع «حزب النخضة» بإدخال «التكامل» بين الجنسين إلى نصّ الدستور (عوضاً عن المساواة) كذلك تضمينه الإحالة إلى الشرعية. فينصّ الفصل 20 على المساواة بين الجنسين في الحقوق والواجبات. أما الفصل 45، فيهدب أبعد من ذلك، إذ يقول إنه «تضمن الدولة حماية



(من الأندرت)

حقوق المرأة وتدمع مكاسبها. تضمنر الدولة تكافؤ الفرص بين المرأة والرجل في تحفّل مختلف المسؤوليات. تتخذّ الدولة التدابير الكفيلة بالقضاء على العنف ضدّ المرأة». يمكننا أن نسمد بإدراج الحريات الأكاديمية وحرية البحث العلمي (الفصل 32)، وهو ما لم يحصل في الدور الديموقراطية «المتقدّمة»، وفي مقدمتها فرنسا. وقد نحصّ مشروع الدستور على «الحق في الحياة» على اعتبارها «مقدّساً» (الفصل 21)، وهو بند آثار سجلا كبير على قاعدة أنه قد شكّل منطلقاً لانتقاض على حق الإحاض، لكن يمكن أيضاً تفسير ذلك الفصل على أنه الأساس القانوني لحظر ممكن لعقوبة الإعدام.

تتعلق الثورة الثانية الصامتة بمدى الحقوق الاقتصادية والاجتماعية، وهي حقوق لا تقل عدداً عن الحقوق - الحريات، وتشكّل ابتكاراً جوهرياً بالمقارنة مع دستور العام 1959. من هذا المنطلق، تمّ تبني الحق بالعمل رسميا في مشروع الدستور الجديد، كما دُسترت المساعدة الاجتماعية وخصوصاً للأشدّ فقراً، فضلاً عن أن واجب أداء الضرائب (محمودية على العامة وارد في الفصل العاشر. بالتالي، فليس من المبالغة اعتبار مشروع الدستور هذا يتضمنّ عناصر تبشّر بولادة دولة اجتماعية جديدة بهذه التسمية. كما أنّ الفصل 20 يلزم الدولة بتوفير «اسباب العيش الكريم» لمواطنيها ومواطناتها. ووفق المنطق نفسه، لا يجدر التقليل من قيمة تخصيص بنود بذاتها في مشروع الدستور لكل من «الحق في الصحة» و«الحق في الترية» و«الحق في الثقافة» و«الحق في الماء» و«الحق في بيئة سليمة ومتوازنة»، ذلك أنّ تضمين حقّ ما في الدستور يؤدي إلى الاعتراف بكونه من مهام الحضرية للدولة، وهو ما يعني عمليا استحالة خصوصته، لئنه تمت ترفيقته إلى مستوى الخدمة العامة.

من دون تصوير مشروع الدستور الجديد كميثاق أو مقدّس، ومن دون التعاطي معه في المقابل على أنه يبشّر بإقامة دولة إسلامية («تونتستان»، إلاّ أنه من الممكن العثور في مشروع الدستور هذا على عناصر تتشكّل ظليعة حقيقية مع النظام السابق في مجال الحقوق والحريات، كما في مجال الحقوق الاقتصادية والاجتماعية. لكن تجدر الإشارة إلى نقطة مركزية: من دون وجود مؤسّسات وأجهزة ملحقّة بها، ومن دون سلطات مضادة قوية ومضمونة، ومن دون إجراءات مستقرّة تسمح بمأسسة الصراع السياسي وتنظيمه، هناك خطر بأن يبقى هذا الدستور، مهما كان سامياً، مجرد حبر على ورق، أو عاجزاً لوحد عن ضمان الديموقراطية السياسية والاجتماعية التي يطمح لها التونسيون والتونسيات.

#### شكري حمد

أستاذ العلوم السياسية في جامعة باريس دوفين (فرنسا)، ويبحث في الرکز الوطني لأبحاث العلمية (CNRS). من تونس

## العربي الفير

عشرات الشباب الجزائريين كسروا يوم الأحد الماضي (23 حزيران / يونيو) منع التظاهر المفروض في العاصمة منذ العام 2001، للاحتجاج على البطالة التي تصيب 21.5 في المئة منهم، وعلى استمرار العمل بـ«العقود المؤقتة»، التي لا يتقاضى العاملون بموجبها أكثر من 225 دولاراً شهرياً، وهي عقود مخصصة لتوظيف آلاف الجامعيين في القطاع العام بضمانات ضئيلة.

### مواقع

شريكة / صديقة



«نظرة للدراسات النسوية»

نضال مصري غير تقليدي

تصميم الموقع الالكتروني لمجموعة «نظرة للدراسات النسوية» المصرية، يتماهى مع مضمونه: الخروج عن الكلاسيكية. ألوان الموقع «فاقة» والمؤثرات البصرية تضفي حركية عليه. والمجموعة المصرية التي تضم نساءً ورجال، تهدف إلى تكوين «حركة نسوية مصرية تؤمن بأن القضايا النسوية والنوع الاجتماعي هي قضايا مجتمعية وسياسية تؤثر في تطور المجتمعات وتحورها، وتعمل المجموعة على إدماج القضايا النسوية في المجالين العام والخاص في المجتمع».

انطلاقاً من هذا البعد العام، تنخرط المجموعة في نشاطات من خلال برامج ومبادرات «نظرية»، وأخرى «عملية». فمن جهة، تعمل «نظرة» على توفير إنتاج معرفي خاص بقضايا النساء والنوع الاجتماعي مستند إلى البحث والتوثيق والرصد والتحليل، فضلاً عن إنتاج وتطوير مصطلحات عربية ذات صلة بالقضايا التي تهتم المجموعة بها. ويعمل ناشطو «نظرة» على دعم المدافعات عن حقوق الإنسان، عن طريق الساندة القانونية والنفسية لهنّ، ودعم النساء في مجال العمل السياسي، بالإضافة إلى «التقاضي الاستراتيجي» لقضايا النوع الإجتماعي داخل المنظومة القانونية المصرية والإقليمية والدولية، علاوة على الحملات الدعوية لوضع قضايا النساء والنوع الاجتماعي في خطة العمل السياسية والاجتماعية والثقافية والاجتماعية، واستخدام الفن بكافة أشكاله.

إحدى السمات البارزة لمواضيع موقع «نظرة»، التزام المجموعة العمل على نضائح للمعنيين والمعنيات بالعمل مع العنقات والغنصبات... يجد زائر الموقع مجموعة من المواضيع التي تحمل طابع الإرشادات، مثل «افعلوا ولا تفعلوا: إرشادات أساسية للاستماع إلى الناجيات من الاعتداء الجنسي»، و«نصائح وإجراءات فورية للمعرضات إلى الغاز المسيل للدموع»، و«نصائح وإجراءات طبية ونفسية فورية للناجيات من الاغتصاب»، و «الأتراس والبلاك بولك...مناقشة أساسية للنوع الاجتماعي والتطلعات السياسية»، وعلى الرغم من الطابع المصري لنظرة»، إلا إن المجموعة تسعى لتوسيع أثرى نشاطها. وفي السياق، يمكن زيارة زاويا «أجنبية»، متخصصة بإيران

ونيجيريا والسودان وسلطنة عُمان والبحرين.. وفي الشأن المصري، تتقف «نظرة» على الجهاد إزاء القضايا السياسية الساخنة، فهي تجاهر ببعثتها للجيش وللإخوان المسلمين وللتجاوزات التي يرتكبونها. على اعتبار أنّ الرئيس محمد مرسي والجماعة التي ينتمي إليها والقوات المسلحة «مسؤولون عن سياسة استهداف النشاطات وإقصاء النساء من المجال العام».

يصدر عن «نظرة» نشرة ورقية دورية، متوفرة على الموقع الالكتروني أيضاً، تتضمن أبرز التطورات التي تدخل في حيز اهتمامات المجموعة النسوية، والوقوف منها.

قناة «نظرة» على موقع «يوتيوب» غنية بالواد البصرية- السمعية، كذلك يتابع حسابها على «تويتر» حوالي 6500 شخص، فضلاً عن إعجاب أربعة آلاف «فايسبوكي»، ويضيفون «لايك» للموقع على حساباتهم. http://nazra.org/

### فكرة

### فلسطينيون... ويفرحون!

خرج الفلسطينيون بكلّيتهم، معتبرين عن فرحهم بولداهم محمد عساف، الفائز ببرنامج الهواة «أراب أيدول»، الذي عُثى، من بين ما عُثى، للقضية. ولعل ما زاد من ردة فعلهم هو ما يحيطهم من إحباط وسوء حال. فظهر أمامهم شاب صغير، فقير من محيم خان يونس للاجئين، وجد فرصة لإظهار موهبته، ولع، وفاز.

الخبر لم يمرّ بهذه البساطة. حُتل الشاب هموم الدنيا بحالها، فهو لا يملك فقط صوتاً جويلاً، تنتهي عنده القصّة، بل أدخل في ممعة هائلة. جرى إلباسه القضية الفلسطينية برتمها، بل وتاريخ العرب والمسلمين مع الفنون، والحلال والحرام. من اعترض على الشاب وعلى «الهيمسة» التي ألقاها له الفلسطينيون (خرجوا بعشرات آلاف السيارات في شوارع غزة)، خشوا على الشعب من «الفسق والفجور». لكن هناك من أيدّه وأراد التحكميل فاعمى. أراد الناخب عن «حماس» ورئيس لجنة الرقابة وحقوق الإنسان في البرلمان يحيى موسى، كسر صمت حرّكه ورفع حرجها، وصرح بكل تسامح بأنّ «الوطن يتسع للجميع، والثقافة وعاء يتسع لجميع الاجتهدات، ما لم تكن حراماً خالصاً وكفراً يواحا... وبالنظر إلى الفنون الفلسطينية الشعبية مثل الدبكة والميجانا والعتابا وظريف الطول، فإنها صاحبت الثورة الفلسطينية ولعبت دوراً رئيساً في شحذ هم الشعب الفلسطيني على الجهاد والاستشهاد والثبات والتشبث بالوطن والصمود على أرضه». وأضاف موسعاً أفق الناس في القرن الحادي والعشرين: «التاريخ الإسلامي زاخر بالفنون الشعرية والغنائية والموسيقية التي ازدهرت في العصور الإسلامية، زمن الخلافة العباسية ودولة الاسلام في الأندلس...، هي إذا حجة شرعية لا ترد، وتطبيق لمبادئ السلف... الصالح.

وهكذا فإدخال فوز عساف فرحاً إلى هذا المجتمع ليس مقبولاً إلاّ في حدود سلسلة من الضوابط التي تضعها حماس وأمثالها.

في هذا الوقت، أعلنت مديرة برنامج الأغذية العالمي خلال زيارة قرية خان الأحمر في الضفة الغربية، أنّ ثلث السكان الفلسطينيين يعانون انعدام الأمن الغذائي، وهي نسبة مرشحة للازدياد. وأشارت المسؤولة إلى أنّ ارتفاع أسعار المواد الغذائية وتراجع الرواتب يجعلان 1.6 مليون فلسطيني «لا يعملون ماذا ستكون وجبتهم المقبلة»، انعدام الأمن الغذائي في فلسطين ارتفع بنسبة 34 في المئة عن السنة الماضية. الخير مرّ سريعاً ولم تتناول له إلاّ بعض الصحف والواقع الإخباري.

تجرى فلسفة الأمر كأن انحرفاً واقع في قلب القضية، بمجرد إظهار الفرح بفوز عساف، العمليات الاستشهادية في وحدها ما تتطلبه فلسطين، وأما 1.6 مليون فلسطيني «لا يعملون شيئاً عن وجبتهم المقبلة»، مهددون بالوت جوعا، فلا بأس، مقبول. بل وما دامت ليست إسرائيل هي الفاتل... فليمتوتا.

#### زئنب ترحيني

#### محمد بنعزي

كاتب وسينمائي من المغرب

53 ألف عامل يماني تمّ ترحيلهم من السعودية منذ مطلع الشهر الجاري، بحسب وزارة المغتربين اليمنية التي توقعت أن يصل عدد المرحّلين إلى 150 ألف عامل في غضون عشرة أيام، من أصل حوالي مليون يماني مقيم وعامل في المملكة. ترحيل يهدد الاستقرار المالي لليمن الذي يدخل إليه سنوياً نحو 1.4 مليار دولار من تحويلات العمال في السعودية.

## المتأخونون: ظاهرة المتحوّلين نحو السلطة في مصر



(من الانترنت)

الانتهازيين الذين دخلوا إلى حزب الحرية والعدالة بحثاً عن منافع خاصة لهم، وممداهم في السياسة «مات الملك، عاش الملك» يضغطون الآن في سبيل أن يدفعوا قادة الحزب إلى ترشيحهم. وإن لم يحدث فقد يخسرون عليه، أو يهاجمونه. ورغم أن الجماعة تحرس على أن يظل مركز الثقل داخل الحزب في يدها، فإن هؤلاء سيسببون إزعاجاً شديداً، وقد يضطر رئيس الحزب، بما له من صلاحيات واسعة، إلى طردهم والتخلص منهم، لكنهم لن يصمتوا إنما سيشاركون في تجريس الجماعة وفضح مخططاتها.

الأهم من هذا كله هو التصدع الأخلاقي الذي بدأ يصيب رجلا في الجماعة أخلصوا لها، غيبا من الطريق الذي يسير فيه القادة، حيث التذكر لكل القضايا التي ربوا أجيالاً عليها، وظهر هوة خفيفة بين القول والفعل، واستشرأب أفتي الكذب والإنكار عند المسكين بزمام الأمور، واتساع مساحة الكراهية في نفوس الناس للجماعة. والوضع الأخير يجعل مكتب الإرشاد حريصاً على أن يستحضر دوماً «عدواً مزمعاً» ليكفل الصفوف في مواجهته، أو يبق، رغم الوصول إلى السلطة، على حديث المحنة والابتلاء، ناهيك بالطبع عن ادعاء المؤامرة، ليس فقط على الإخوان، إنما على الإسلام.

وهذه الالاعيب تحقق نتائجها إلى حد كبير حتى الآن، لكنها لن تصمد طويلاً، فالكذب لا أر حل له، والجري وراء المنافع إن كان هادماً لأن سيستسارع، وكل هذا يتم بينما الجدار العازل بين الجماعة وبين الشعب يرتفع كل يوم ويزداد سمكه وسواد لونه. ولحظة الفصل، سيكون المتأخونون أول من يعرول بعيداً.

### عمار علي حسن

روائي وباحث في علم الاجتماع السياسي - مصر

في أعقابها كما يسري الماء ناعماً تحت أكوام من القش. على مدار تاريخ الجماعة، قبل الثورة، كان من يتقدم الصفوف ويعلو في المراتب ينظر الاتباع إليه باعتباره الأكثر استعداداً للتضحية، ومن ثم يحدون عليه، ويطيعون أمره، ويحترمون وضعه. الآن طراً تغير كبير بعد وصول الجماعة إلى السلطة، فالأكبر يعلو جاهه، ويحوز مزيداً من النفوذ والثروة. وبالطبع سينتكر الإخوان هذا، ويصورون للناس أنهم أولياء الله الصالحين الزاهدين في المناصب والأموال، وهو ادعاء لن يصدقه أحد بعد كل ما ظهر من أكاذيب وسعي محموم للسيطرة على كل المناصب، واستئثار بالسلطة، ومحاولة حيازة المال من خلال توسيع التجارة ومشاركة رجال أعمال نظام مبارك. وقد شكنا لي مر الشكوى بعض شباب الإخوان ممن في مجلس النواب، من عمليات التضييق التي تتم عليهم، وتذميرهم من حشر شباب الجماعة في مواجهات عنيفة مع المجتمع، وتحديثها عن صراعات حول المواقع. وقالوا لي إن صراعات قوية تدور الآن حول من سيتم ترشيحه في مجلس النواب، فهناك أكثر من شخص لديهم رغبة في الترشح على كل مقدم، لكن مكتب الإرشاد سيختار واحداً ويترك الآخرين مغبونين. واستمعت قبل أيام إلى قيادي من جيل الوسط في الجماعة يتذمر من أن مكتب الإرشاد ومن بعده ذراع الرئيس، الدكتور محمد مرسي لا يحسن اختيار الأقطاب داخل الجماعة نفسها، وقال: «في كل منصب تنفيذي، وزيراً كان أو محافظاً أو أقل من هذا، تركوا الأقطاب واختاروا من كان ولاؤه للمجموعة المسيطرة على الجماعة في الوقت الحالي... إنهم لا يحرمون أصحاب الكفاءات في البلد داخل ويتعدون نعمتهم، لكنهم أيضاً يحرمون أمثالهم داخل الإخوان».

وعرفت من كل هؤلاء أن شخصيات عديدة من

والمتأخونون لن يكون في الصف الأول حين تحين اللحظة الفاصلة للجماعة، سواء إن أخذت المجتمع كله إلى مواجهة عنيفة، لا قدر الله ولا سمح، أو كانت متجسدة في انتخابات مقبلة، خاصة أن من بين المتأخونين من يسعون إلى تعزيز مراكزهم داخل الجماعة عبر الترشح للانتخابات والفرز فيها. فإن وجدوا مصداً أو استعداداً من قبل قادة الجماعة سيتميزون غيظاً وإن كتموا، ويشعروا بالغين وإن بالغوا في اصطناع الرضا.

والثابت تاريخياً أنه لا يوجد تنظيم عاش على ظهر الأرض كان كل رجاله على قلب رجل واحد، ومخلصين للفكرة مهما كانت قيمتها وعمقها أو اتساقها وتماسكها، وإلا ما كان قد صُفّف هؤلاء في دوائر متلاحقة سواء من حيث النفوذ أو الولاء. وحتى الجموعات التي تحلقت حول الأنبياء لم يكن أفرادها متساوين أبداً في الإيمان بالرسالة، وإلا ما وجدنا الحواريين والصحابية، وتبعنهم دوائر أخرى من المتقين حولها.

وقد يكون «النفاق» مدخلا لفهم موقف ووضع المتأخونين، مع الأخذ في الاعتبار أننا نتحدث في مجال الولاء السياسي والاجتماعي والفكري وليس في موضع الإيمان والكفر. لكن كما أن المنافقين يشكلون خطراً على رسائل السماء، أمضى أثراً يكثير من الكافرين بها، حسب ما ينشئنا القرآن الكريم، فإن المتأخون، أو أي شخص ينحني اسماً لتنظيم أو جماعة ما من دون إخلاص لها، يمثل خطراً شديداً عليها أيضاً. وقطعا سيرفض قادة الإخوان هذا، لكن دعه من حديثهم عن أن صفوف الجماعة «بنيان مرصوص»، فالارض الذي يقيد الجميع، بمن فيهم التيار السلفي، أصابها، لكن أصابتها بيذنون قصارى جهدهم في سبيل أن تبقى أعراضه بعيدة عن أعين الناس، وإن كان الوجود يسرى

خارج التنظيم الحديدي، فيعبر الناس طرفاً ما حرص القادة على كتمانهم طويلاً، فتتفضح عورتها، وتظهر مزلقه، وتتكشف نواياه، ويجد من يتأونونه سبيلاً إليه.

والمتأخون قد لا يكون بالضرورة عضواً دخلياً على الجماعة أو حزبها، أو عنصرًا مدموساً أو مزروعاً من منافسها في الساحة الاجتماعية والسياسية والجمال الديني أيضاً، بل قد يكون «إخوانياً» صميمًا، عاملاً في الجماعة، راسخ الأقدام في تنظيمها، من أولئك الذين الحقوا بقطارها من محطته الأولى. فالجماعة تقوم بالإنفاق على أطفال فقراء، ويتماي منذ مغرمه، ليس كعمل خيري كما تفعل «الجمعية الشرعية للعالمين بالكتاب والسنة»، مثلاً، إنما كجزء من آليات التجنيد وجذب البراعم والأشبال، الذين يمدون على مهل ليكوثوا أعضاء فاعلين في الجماعة.

بعض هؤلاء قد يفتنح بمرور الزمن بنهج الجماعة وأفكارها، فيخلص لهذا الشق المعنوي أو العقدي، حسب ما يصفه الإخوان، ويضعهم لا يفتنح، لكنه يجد نفسه مربوطاً بمصلحته أو شبكة علاقات اجتماعية لتنتف حول عنقه، ولذا يظل متواجداً جسداً في الجماعة، لكن روحه تفرغ بعيداً عنها كلما وجدت إلى ذلك سبيلاً. وهؤلاء يفتنحون عن كاهلهم أحيانا عيب السقوط الأخلاقي للجماعة ولا يبدون تحميساً شديداً للدفاع عنها، لأن وجوداً من يملئون إليه من خارج الجماعة أسوأ إليه بالشكالات التي يواجونها، والانتقادات التي تنحسب في صدرهم. ويضعهم قد يواجها بالعبرة الشهيرة «أنا مش إخوان»، ليس لأنه ملقن أن يقول ذلك حتى يتحايل عليك ويتمكن من امتلاك رأسك فيفتكح بوضفه محايداً، لكن لأنه يشعر بالخدني حياء ما جرى لصوره الإخوان في المخيال الشعبي المصري الآن.

## حلم مرسي

في الغالب، يجلس محمد مرسي يوماً ليفكر كم أنه تيسر، مبارك هو مثله الأعلى، بالتعريف العلمي للمثل الأعلى. كل ما فعله مبارك يحاول أن يفعله مرسي، مع فشله في هذا، يمكننا افتراض أن مرسي سهر ليلة مع أصدقائه قبل فوزه في الانتخابات، وترأهوا على أنه إن كسب فسوف يستطيع أن يكون مثل مبارك، وأقرانه الإخوان لم يصدقوا. وفاز مرسي برئاسة مصر، وفشل، وكاد يخسر الرهان. لم يستطع مرسي التحكم في مفاصل الدولة.

لكن اللحظة الأخيرة أسعفته: مجموعة على الفيسبوك تعلن عن يوم 6/30 كيوم للغضب الشعبي ضد الإخوان. 6/30 مثله مثل أيام جمعة عديدة مرت في حياتنا المصرية بعد الثورة وأثارتها، لا شيء ينبئ إنه سيحدث شيء كبير فيه. ولكن مرسي، اللدفع برهانه مع أصدقائه، قرر أن يدفع الشعب للثورة عليه. هذا الشيء الوحيد الذي سيفنق إخوانه إنه مثل مبارك، الشعب

## «بدون الأردن»: قبل الدولة ويحرمون جنسيتها

الهوية. نحن أردنيون، يقول البدون، حابس يثبت ذلك بوالده وجهه اللذين ولدا ودفنا في الأردن، غير أن قانون الجنسية الأردنية يقول هم ليسوا كذلك.

**انطلاق الشروط لا يكفي**

لماذا حابس من دون شقيقه وزوجته منحت وزارة الداخلية الأردنية لشقيقه وزوجته الجنسية الأردنية بعدما تقدموا بطلب للحصول عليها. وجاء قرار منحهم إياها مشفوعاً بانتداب شروط منح الجنسية عليهم. ينص قانون الجنسية الأردنية على أنه «أي شخص غير أردني ليس فاقداً الأهلية أن يقدم طلباً إلى مجلس الوزراء لمنحه شهادة التجنس بالجنسية الأردنية، ممن تتوفر فيه الشروط الآتية: أن يكون قد اتخذ محل إقامته العادية في المملكة الأردنية الهاشمية لمدة أربع سنوات قبل تاريخ طلبه، أن لا يكون محكوماً عليه بأية جريمة ماسة بالشرف والأخلاق، أن ينوي الإقامة في المملكة الأردنية الهاشمية، أن يعرف اللغة العربية قراءة وكتابة، أن يكون حسن السيرة والسمة، أن يكون سليم العقل غير مصاب بعاهة تجعله عالة على المجتمع، أن تكون له وسيلة مشروعة للكسب مع مراعاة عدم مزاحمة الأردنيين في المهنة التي يتوفر فيها عدد منهم..» لم يحصل حابس على الجنسية الأردنية رغم توفره على الشروط، وتقدمه بعشرين طلباً من أجلها. ليسو عظه، فمنح الجنسية الأردنية لا يحدده فعلاً انطباق الشروط بل له أسرار، بدليل إمكان رفض الطلب دون ابداء الأسباب.

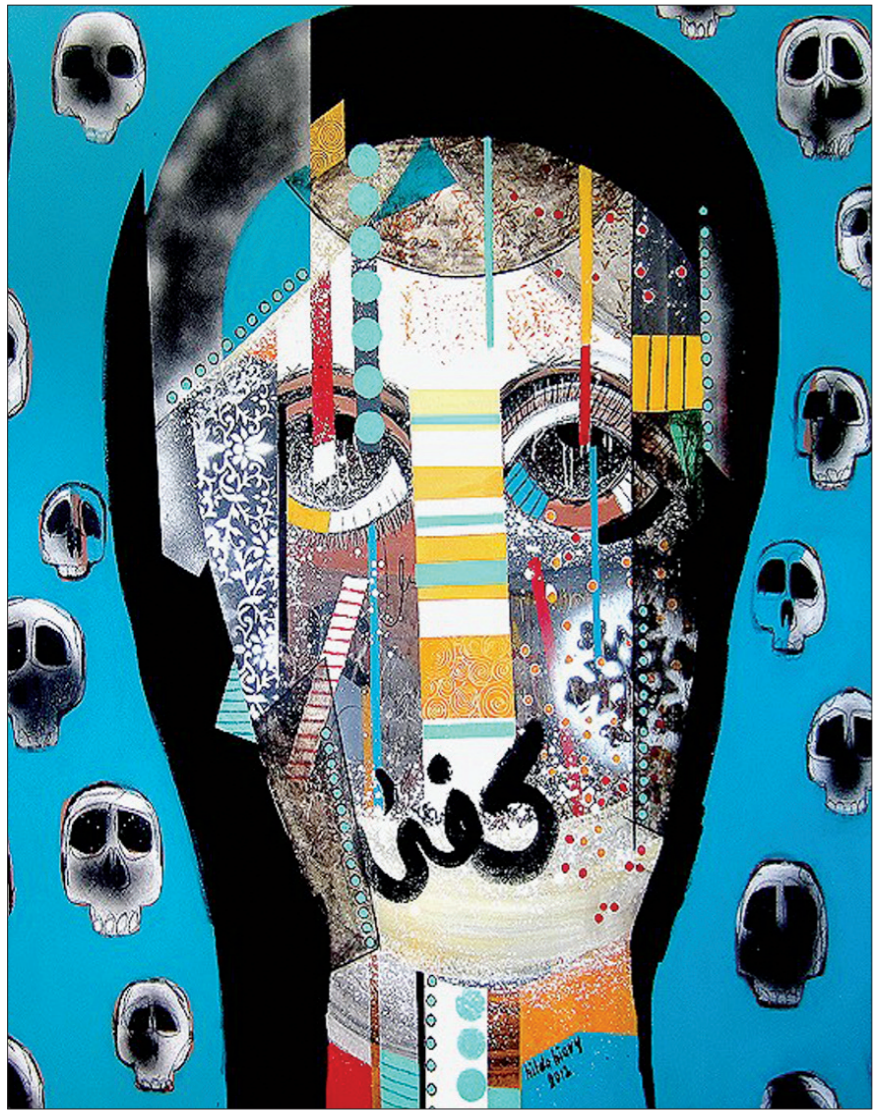
**أكثر من ذلك**

يشغل البدون أدنى الطبقات الاجتماعية في المجتمع الأردني، منبوذون هم ومهمشون،

حوالي ستة ملايين عراقي يشكلون ما نسبته 20 في المئة من السكان «محرمون من الغذاء أو يتعرضون لانعدام الأمن الغذائي»، بحسب تحذير أطلقته الأمم المتحدة يوم الأحد الماضي (23 حزيران / يونيو). ويعود السبب الرئيسي في ذلك إلى تدهور الأراضي الزراعية وأنظمة الري والمناخ وتفاقم ظاهرة التصحر مقابل زيادة الاعتماد على استيراد المواد الغذائية.

هيلدا هيارى / الأردن

حلم ..



arabi.assafir.com

– التعرّيب غير جدلاً في موريتانيا - المختار ولد محمد  
يستقبل الموقع مساهماتكم وتعليقاتكم واقتراحاتكم.  
– تابعونا على «فايسبوك»: السفير العربي - Assafir Arabi  
– تواصلوا معنا على «تويتر»: @ArabiAssafir

## خدمة الصهيونية... لا دين لها

الصهيوني يربط حقوق الفلسطينيين بواجباتهم تجاه دولة الاحتلال (وكيف تكون واجبات تجاه من سطا علينا ودمر بلدنا ومجتمعنا وحياتنا؟)، كما أنه يتحدث عن تجنيد الدروز والمسلمين مثل اليهود تماماً «سواسية!». ويتحدث أيضاً عن «تفاسم العباء»، وهو مصطلح جديد نوعاً ما، تستخدمه الصهيونية العلمانية كأساس لتجنيد الفلسطينيين واليهود المتدينين المعيين من الخدمة العسكرية ليدرسوا التلمود والتوراة. ويتحدث نذاف عن «الولاء» و«الخيانة»، وهي مصطلحات من مخزون يشهره أكثر الصحاينة تطرفاً في العنصرية.

«ما علاقة الجيش بالسياسة؟»

في مقابلة مطوّلة مع «صوت إسرائيل»، يقول جبرائيل نذاف أن علاقة له بالسياسة. حين سأته الذبعية (ومن النادر في هذه الإذاعة أن يكون الضيف إسرائيلي) الخطاب أكثر من المذيع، عن كونه رجل دين ويتدخل بالسياسة، أجاب نذاف ببراءة: «أنا أتدخل بالسياسة؟ أبدأ ما علاقة الجيش بالسياسة؟». لرجل الدين هذا دور سياسي بامتياز، وهو دور خطير. وقد هاجم جزء من العلمانيين نذاف من باب أنه رجل يوظف نفوذه الكنسي لأغراض سياسية. وفي هذا الإدعاء الكثير من النفاق: على مدى عشرات السنوات، أعطت الحركات الوطنية الفلسطينية في الداخل رجال الدين منبراً سياسياً واستفادت منهم حين كان خطابهم وطنياً. كان القس شحادة شحادة، على سبيل المثال، شخصية مركزية في «لجنة الدفاع عن الأراضي» التي قادت يوم الأرض 1976 في الجليل، ولا يزال حتى اليوم المطران عصا لله حنا شخصية محورية في السياسة.

التشابك بين العمل السياسي والديني متجذّر. ففي مدينة الناصرة مثلاً، هناك مجلس للطائفة الأرثوذكسية. وقد فرض المجلس حرماناً على نذاف بعد تصريحاته. والمجلس هو الملك الرسمي لكنيسة البشارة وسائر ممتلكات الطائفة. فأي مفارقة أن تتولى رئاسة هذا المجلس قيادات محللة للحزب الشيوعي؟ يدعي نذاف أن هذا الحرمان يأتي على خلفية شخصية بسبب خلاف بينه وبين رئيس مجلس الطائفة الذي «أعلن أنه ملحد ولا يؤمن بأن المسيح ابن الله». التشابك القوي يطرح أسئلة عن دور رجال الدين عند شعب يقبع تحت احتلال، ويعيش حالة تحرر وطني متعزّة وعمل سياسي متناقل... عن مكانتهم ومدى تأثيرهم ومخاطر منحهم النفوذ السياسي، حتى وأن كانت مواقفهم السياسية مشرّفة، لأنهم يستندون إلى «قدسية» يصعب السجالات معها حين يلزم.

لا يحتاج الجيش الإسرائيلي إلى مساهمة من العرب الفلسطينيين، ولا الهدف من سياسات التجنيد تحسين أداء الجيش وزيادة عدده. الهدف الأساسي هو طمس الهوية الفلسطينية، كسر الحواجز الثقافية والوطنية والاجتماعية التي تمنع الفلسطينيين من خدمة الاستعمار. التجنيد معناه مصادرة الوعي، بعد مصادرة الأرض ولقمة العيش والبنى الاجتماعية. والقيادة السياسية والاجتماعية تعرف أنه معترك مفصل، ومتحانها الآن في أن تحمي قواعدها من هذا الخطر الداهم.

الحجة الأمنية لم تنطل على المسيحيين، حتى وإن كانوا أقلية تبلغ نسبتهما نحو 10 في المئة فقط من الفلسطينيين. وتشير العطبات الصهيونية إلى 250 مجنّداً مسيحياً، وهي أرقام يُرجح أن تكون مضخّمة، ورغم ذلك فهي هزيلة.

«أمن الطائفة» لم يعد مقتناً

لهذا الخطاب الجديد أسبابه، فأبواق التخويف والترهيب للمسيحيين لم تنفخ لتجنيدهم، حتى في أكثر الحالات تطرفاً مثل «أحداث قرية المغارة» في العام 2005 و«أحداث شفاعمرو» في العام 2009، وهي أحداث عنف هزّت المجتمع الفلسطيني في الداخل بعد أن هاجم في كلا الحالتين مئات الشباب من الطائفة الدرزية بيوت المسيحيين ومحلّاتهم التجارية على خلفية دينية. في العام 2005، وصلت الأحداث إلى تهجير مئات المسيحيين من القرية الجليلية؛ في حينه ذهبت بعض القيادات السياسية لتعتبر ما حدث مذبذباً من قبل السلطات الإسرائيلية من أجل تشجيع المسيحيين على التجنّد في الجيش والحصول على السلاح لحماية أنفسهم. اعتبارات السطوة الأمنية هذه لم تلق أصداءً مشجعة لدى 127.000 فلسطيني مسيحي في الداخل، ويُرجح أن يكون ذلك بسبب الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية الجيدة للطائفة، فهي صاحبة أعلى نسبة من الحاصلين على شهادة البكالوريا (التوجيهي) بين كل الفئات الدينية في الأراضي المحتلة عام 1948، بمن فيهم اليهود، حيث حصل 64 في المئة من الطلاب المسيحيين على الشهادة مقابل 48 في المئة من الطلاب المسلمين، و55 في المئة من الطلاب الدروز، أما اليهود الذين تضح الدولة أموالاً مضاعفة لتعليمهم، فحصل 59 في المئة من طلابهم على الشهادة.

الحجة الأمنية لم تنطل على المسيحيين، حتى وإن كانوا أقلية تبلغ نسبتهما نحو 10 في المئة فقط من الفلسطينيين. وتشير العطبات الصهيونية إلى 250 مجنّداً مسيحياً، وهي أرقام يُرجح أن تكون مضخّمة، ورغم ذلك فهي هزيلة.

الديني والعسكري واحد

يُسدّى جبرائيل نذاف معروفاً للحركة الوطنية الفلسطينية ولجان مناهضة التجنيد، إذ يصّر دائماً على ربط الخدمة العسكرية في جيش الاحتلال ربطاً مباشراً بما يُسدى بالخدمة المدنية (أي مدنيّة في دولة غداء وجودها العسكرية؟). هكذا يُسمّون المشروع الذي ابتدعه الصحاينة لاستدراج فلسطيني الداخل إلى التطوُّع في مؤسسات الاحتلال ذات الطابع المدني-مستشفيات، محاكم، وزارات - بدلاً من التطوع في الجيش.

تُجمّع كل التيارات الفلسطينية على أن هذا المشروع (الذي تنفذه وزارة الأمن الإسرائيلية) ليس إلا تهديداً لفرض الخدمة

جبرائيل نذاف معروف لدى الأوساط المحلّية والدوائر القريبة من الكنيسة الأرثوذكسية في مدينة الناصرة وفي الجليل. برز اسمه في الشهور الأخيرة بعدما أعلن مواقف مؤيدة لتجنيد الفلسطينيين المسيحيين في الجيش الإسرائيلي. كاهن الرعية الأرثوذكسية في الناصرة شارك في مؤتمر لوزارة الأمن الصهيونية يهدف لاستدراج المسيحيين للخدمة في صفوف جيش الاحتلال، أو للخدمة في المؤسسات الحكومية تعويضاً عن الخدمة في الجيش. المؤتمر عقد في مستوطنة «نتسبريت عيليت» الكبيرة المشددة في العام 1957 فوق عشرات آلاف الدونومات المصدرة من أهالي الناصرة وضواحيها، وهي اشتهرت في وسائل الإعلام مؤخراً بعد سلسلة من الإبداعات الفاشية وصلت ذروتها بطالبة رئيس بلديتها إعلان مدينة الناصرة الفلسطينية المحاذية «مناطق عدو».

نذاف هذا رجل دين مرتبط بالسلطات الإسرائيلية ارتباطاً صفيقاً. وقضية تجنيد الشباب المسيحيين لخدمة الاحتلال ليست إلا واحدة من الكوارث التي يمارسها بصفتها الكنسية. فإلى جانب اهتمامه البالغ بالتجنيد، فهو عضو في إحدى لجان وزارة الخارجية الصهيونية، وهي لجنة رجال دين يتركز عملها في تلميع وجه الاستعمار أمام العالم، ومن آخر إنجازاتها المبهرة أنها انتدبت نفر من المشايخ المسلمين ليحجوا إلى فرنسا ويقدموا الصلاة في منزل السفير الإسرائيلي في شهر نيسان المنصرم، وإذا لم تكف نشاطات نذاف في التجنيد والدبلوماسية، فيمكن إضافة أنه عضو في «لجنة الطاعة» لصحة السجون الإسرائيلية، المسؤولة عن أسر آلاف الفلسطينيين والتنكيل اليومي بهم. وأخيراً فالرجل سلفي التديّن، وسبق أن هاجم بحدة المذاهب المسيحية الأخرى، وقد وصف - على العواء مباشرة - المذهب السني المتجدد بـ«الإرهاب المدمر للمجتمع».

خطاب جديد

تنقسم أغلبية الشارع الفلسطيني الساحقة التي ترفض الخدمة في جيش الاحتلال، إلى آراء يسخّف بعضها مكانة نذاف ولا يعتبره يمثل إلا نفسه، بينما الرأي الآخر يهول وبالْحَقِيقَةِ، خطاب نذاف يحمل تجديداً خطيراً لا يأخذ حقه في النقاش: فمحاولات تجنيد المسيحيين للجيش الإسرائيلي ليست جديدة، ومحاولات التفريق وعزل كل طائفة أو فئة من المجتمع الفلسطيني واستغلال الطائفية السائدة من أجل تفكيك المجتمع، أمور مفهومة ضمناً: هذه ممارسات يطبقها كل استعمار واحتلال من أجل إلحاق الهزيمة بأهل الوطن. الجديد أن الخطاب تغير. فنذاف لا يتحدث بالخطاب التقليدي الذي عوّدتنا عليه الطائفية القبيحة، من أن المسيحيين أقلية دينية مضطهدة في المجتمع الفلسطيني، وعلى الطائفة الإنخراط في الجيش لتتمكن من حماية نفسها وتحقق مصالحها مع الدولة الصهيونية. هو يعرض خطاباً سياسياً بحثاً، ميدانياً وليس انتقائياً. فهو يتحدث عن الوطنية الإسرائيلية باعتبارها وطنية وانتقام، ويتبنى المبدأ

.. بألف كلمة

## قصة «جميلة»



(علي علي- إي بي أي)



الفلسطينية جميلة أبو عشية (35 عاماً) تعمل منذ 20 عاماً في قطاع البناء في بيت حانون، شمال قطاع غزّة. وهي تتقاضى 10 شيكل (2 يورو) مقابل نقل كل طنّ من الإسمنت، وذلك لإعالة ابنتها ووالديها

## ليست المشكلة بالصوت الواحد

«مجالس الأمة منذ عام 2006 حتى الآن: 2006 منحل  
2008 منحل  
2009 منحل  
فبراير 2012 منحل  
ديسمبر 2012 منحل

الغالبية من المواطنين «شايلين» هم حكم الصوت الواحد ونسبة المشاركة بالانتخابات القادمة! مشاكلنا ستظل كما هي منذ 50 عاماً والسبب معروف للجميع. ليست المشكلة بصوت أو أربعة، يرتقالي أو أزرقي! الشعب الكويتي مستعد أن يفتح صفحة جديدة، ويتوجه للانتخابات القادمة ويختار 50 نائباً يمثلون الأمة يمثلون أطراف وتيارات المجتمع الكويتي كافة، ولكن ماذا عن رئيس الوزراء؟ وقد أبطل المجلس مرتين بعده بسبب خطأ إجرائي؟ كيف يجب أن يتصرف مع خبرائه القانونيين والدستوريين؟ ومع أعضاء الفتوى والتشريع؟ الشعب الكويتي والقيادات مستعدة أن تنسى الماضي وتبدأ من جديد، ولكن من يضمن لنا رئيس حكومة بمستوى الموقع والمسؤولية؟ هذه مشكلة جوهرية ومن خلالها يكمن الحل لمعظم مشاكلنا...»

من مدونة بانادول الكويتية (17 حزيران / يونيو 2013)  
http://panadot75.blogspot.com/

## بحر السلطة... وساقية الدستورية

«أغلب المؤشرات السياسية تصبغ غداً لصحة صدور حكم بإلغاء مرسوم الضرورة الانتخابي وإرجاعنا إلى مجلس 2009 المنحل! وقد تطرقت لهذا الأمر في مقال نشرته في كانون الأول / ديسمبر 2012 كاحتمال بديهي قائم. ولو فكرنا بعقلية السلطة فهذا أنسب حل يخرجه من الأزمة السياسية الحالية الممتدة منذ سنة. لاستيعاب الصدمة التي سيجدها حكم المحكمة الدستورية: المستوى الأول هو الاستعداد الإعلامي لما بعد الحكم والضغط ناحية القبول به كمشكلة لا يمكن تجاوزها. أما المستوى الثاني وهو ما أسماه حركة الالتفاف الاجتماعي الخلفية لقاعدة الحراك الشعبي، والتي تمثلت في إعادة رسم خارطة التحالفات لمؤسسة الحكم عبر استمالة شخصيات اجتماعية ذات نفل - كعوض شيوخ ووجهاء القبائل - كان لها دور بارز في معارضة مرسوم الضرورة. المستوى الثالث كان سياسياً بامتياز، من خلال دفع السلطة بشخصيات سياسية لها تأثير في مجيها السياسية - والاجتماعي أيضاً - لتطرح «مبادرة الإصلاح والتوافق الوطني» كما أسموها. وهي مبادرة من أهدافها قتل مطالب الحراك الشعبي وإرجاعه إلى مستويات منخفضة من الإصلاح السياسي».

من مدونة «شقران» الكويتية (15 حزيران / يونيو 2013)  
http://goo.gl/3SPGr

## مدونات

### على وقع التكبير

«لم أعد أملك موقفاً مما يدور على ساحة المنطقة اليوم (...). لكن استقرتني أشياء، الحكم واحد، والحزب واحد، وفكرة الأخ الكبير تعمم على العالم كله، الديكتاتور واحد أينما حل، يطغى عليه ذلك الشعور بالعظمة، يتخيل كل من تحته حشرات، يسارع إلى التطهير. الديكتاتور واحد يطل علينا بأزياء مختلفة، بربطة عنق، بعباءة، بعمامة، لا فرق. الكلام عينه يرددّه إن واجه بضع محتجين، يرتكب أيّنا كان حماقة ذاتها، يستعظم شأنه ويستصفر كل من دونه، هؤلاء مختلون، منشقون، خارجون عن سلطة القانون... يصل الشعب لمرحلة لا يكون بحاجة فيها إلى خبز ولا يكون يرغب بحرية وديموقراطية. عندما أحرق بن عزيزي نفسه، لم يجل في ياله فكرة إسقاط النظام الحاكم ولا طراً على ذهنه رئيس بلاده، لم يكن يريد أكثر من احترامه كإنسان، أن لا يُضرب ولا يُعذّب من قبل أصحاب السلطة (...). باسم الدين يجيش البشر، يصيح القتل هو الحل الرئيس للحكم، باسم الدين يعلن الجميع عصر التطهير من بعضهم البعض، وكفه فداء لله، وإعلاء كلمة الله التي مزّعت بمجاهل التاريخ ولا ننسى أبداً حرّ الرأس على وقع التكبير».

من مدونة «دونكيشوتات» (12 حزيران / يونيو 2013)  
http://goo.gl/UtknR